عبد الكَريم بن مُحمد الفكُون القسنطيني الجَزائري (988–1073هـ) وجهوده اللغوية

كتاب: فتْح اللَّطِيفِ فِي شرح أُرْجُوزَة المَكُّودِي فِي التَّصْرِيفِ–أنموذجا–

د/ ابن ابراهيم السعيد

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة الحاج لخضر – باتنة–

الحمدُ لله ربّ العَالمين، والصّلاةُ والسّلام على خَاتم النّبيين والمرسَلين أَشرف خَلق الله مُحمّد، صلَّى الله عَليه وسلَّم تَسليماً، وعلَى آله وصَحبه والتَّابعين، وبعد:

يُرجع الكَثيرُ من النَّاس عزُوفَه عن التّقرب من مَيدان تَحقيق التُّراث إلَى أنَّ الدراسَات التي تمُسّ التُّراثَ، تتطلبُ آليَات علميّة خَاصة، يتزوَّدُ بها الدَّارس، ويُحسنُ اصطنَاعَها وتُوظيفِها والإفادةَ منها، فضلاً عن الثَّقافةِ الوَاسعةِ، والنَّظر الثَّاقب، والذَّكاءِ المتميز، ليوظف ذلك كلّه في تَحليل النُّصوص المحقَّقة، ودرَاسَتِها درَاسةً وافية تكونُ أقربَ إلى ما أرادَه مُؤلف النَّص.

وقد خلف لنا أجدادنا تراثا مخطوطا في مختلف المعارف والعلوم، لم يلق العناية الكافية لإحصائه وتصنيفه ودراسته وتحقيقه ونشره، رغم ما بذل من جهود فردية وجماعيه جادة تستحق التقدير.

وقد وقع اختياري على نص تراثي لأحد العُلماء الجزائريين الذين لم ينْصفهم التَّاريخُ في التّعريف بجُهودهم اللُّغوية، ونَشر أعمَالهم الفكْرية، كمَا عُرفَ عن أقرَانهم، وإحساسا مني بأهمية العناية بالتراث عامة وبأعمال هذا الرجل خاصة تقربت من هذا العلامة اللغوي للبحث عن مؤلفاته وآثاره التي ظلت فترةً زمنيةً كبيرةً حَبيسةَ المكتبات والزوايا، عُرضةً للتآكل والضَّياع، فبذلت جهدا متواضعا لدراسة وتحقيق وتصويرجملة من هذه الآثار؛ ليستفيد منها الباحثون والدارسون على السواء.

فالمؤلف هوالعلامة اللغوي (**عَبد الكَريم بن مُحمد الفكُون الجَزائري** (**988–1073هـ**)، والنص التراثي الذي أتناوله بالدراسة هو: (**فتْح اللَّطِيفِ فِي شرح أُرْجُوزَة المَكُّودِي فِي التَّصْرِيفِ**) كتابٌ في علم تَصريف العَربيَّة، مثالا على جهود الرجل اللغوية.

وقسمت البحث قسمين:

1- **القسم الأول**: تناولت فيه المؤلفَ ومآثرَه

2- **القسم الثاني**: جاء للحديث عن الكتاب وقيمته العلمية.

أولا: التعريفُ بالمؤلِّف:

مؤلفُ كتابِنا هو واحدٌ من أبنَاءِ مَدينةِ قسنطينة[1]، المدينةُ التي تَضربُ بِجذورهَا في أعمَاق التَّاريخ، فهوَ: عبدُ الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم الفَكُّون[2] التَّميمِي القَسنطيني (988–1073هـ)[3]، من أسرة اشتَهرت بالعلْم والصَّلاح، فنالتْ احتراماً وَاسعاً، لِما لها من نُفوذٍ دِيني واجْتمَاعي وسيَّاسي في مَدينة قَسنطينةَ، ونَظراً للمَناصب الهامَّة التي شغلَها أبناؤها في المجتمع .

تعلَّم عبد الكريم على يد والده[4] في زَاوية العَائلة، حيثُ شبَّ ونَمَا على حبِّ العلم والسّعي في تَحصيله وسطَ جوٍّ ثَقافي عام، أحدثَه توافدُ العُلماء من تُونس والمغرب على هذه الزَّاوية في مدينة قسنطينة، فكان لبعض شيوخه تأثيرهم عليه، فمنهم أخذَ مبادئَ العلُوم، وبأخلاَقهم اقتدَى، فحفظَ القرآنَ الكريمَ، وتعلَّم النحوَ والصرف، وعلومَ الشَّريعةِ .

ولم يُذكرْ أنْ سَافرَ أو تَنقَّل لطلَب العِلْم، فقدْ كانَتْ ثقافتُه محليَّةً في زَاويةِ الأسرَةِ وممَّن خالطَه من العلمَاء الوَافدين على مدينةِ قسنطينة [5] .

وبعدَ وفَاة وَالده عام: 1045هـ، تولَّى عبدُ الكَريم الفكُون وظائفَ عديدة مُباشرة، حيثُ أُسندتْ لَه إمارةُ رَكْبِ الحَجِّ، وهي وظيفةٌ لا ينالُها إلا منْ كانَ جديراً بها، كمَا نالَ لقبَ مَشيخَة الإسلام والإمامَة و التَّدريس في الجَامع الكَبير(الأعظم) في قَسنطينة وهو الجَامع الذي يَقعُ في البَطحَاء قربَ دَار الفَكون[6].

ويُذكرُ أنَّه كان من العلمَاء المنتفعين بِعلمهم، فقدْ حصَّلَ طرفاً من العُلوم المختلفة، وألَّف فيها كُتباً ودرَّسها لطَلبته، ثم ألقَى الله في قَلبه تركَها والعكوفَ على حَضرتِه بالقَلبِ، وكانَ يقولُ إذَا ذُكر له شيءٌ من هذه العلُوم: قرأنَاها لله وتركنَاها لله[7].

اشتغَل بعلمي النَّحو والصرف، بحثا عن التفوق في علم العربية بين أقرانه، أوتجسيدا لتلك الرُّؤيا التي رآها في مَنامه مع جدِّه عبد الكَريم، وهي رؤيا أقرب للخَيال منها للحَقيقة؛ لأنَّها تُعود إلى تَأثير مَعنوي صُوفي، يقول عبد الكريم الفكون: (رأيتُ الجدَّ– رضي الله عنه– في النَّوم مَرتين أوْ أكثَر، وفي إحدَاها كأَنِّي بمَدرَسة دَفْنه قَاصداً نحَوَ بَيت الصَّلاة، وكأنَّه يُخاطبُني من قَبره، يقُولُ: اقرأْ، ونَاوَلَني

---

(1) كتبت (قسمطينة) في نفح الطيب: 480/2، وهو نطق عامة الجزائريين.

(2) قيل: إنَّ كلمة (الفكون) نسبة إلى (فكونة) بالأوراس. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1998، 349/2، والإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 2004، ص:251–252 ، وتعريف الخلف برجال السلف : ج165/1.

(3) قدم الدكتورأبوالقاسم سعد الله–أطال الله عمره– للمكتبة العربية كتابين تناول فيهما بإسهاب حياة هذا المؤلف، الأول بعنوان: شيخ الإسلام،عبد الكريم الفكون داعية السلفية (تأليف)، والثاني موسوم بـ: منشورالهداية في كشف من ادعى العلم والولاية لعبد الكريم الفكون (تحقيق).

(4) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص: 309 –310

(5) أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دتر الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1986، ص: 63 .

(6) المصدر السابق: 69 .

(7) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ج163/1–166 .

قرْطَاساً مَكتوباً فيه بالأَصفَر، فتَأملْتَه، فإذَا فيه: (قَالَ): فِعْلٌ مَاضٍ، أوْ كلاَماً هذَا معنَاه لطُول عَهدي بالرُّؤيَا، فانْتَبَهْتُ، ووقَعَ ببَالي أنَّه إذْنٌ منْه في الاشْتغَال بعلْم النَّحو، فاشتَغلتُ به فحَصلتْ لي فيه ملكةٌ والحَمدُ لله، وذَلك من بَرَكته رَضي الله عَنهُ) [8].

وهذه الرؤيا شبيهةٌ بالقصَّة التي يَرويها اللُّغويُون والنُّحاة إشارةً لأوَّليّات علْم النَّحو والبَاعث علَى التَّأليف فيه، وما حدثَ بينَ عليّ بن أَبي طَالب- رَضي الله عنه- وأَبى الأسْود الدُّؤَلي.

ولعلَّ الباعثَ الأوَّل لمعرفَةِ علم النَّحو، وفهم دَقَائقِه، هو مُلازمةُ الشَّيخ محمد بن رشد الزَّواوي، يقولُ الفكُون: (ولما أَرادَ الله فَتْحَ البَصيرَة في النَّحو، لاَزمتُه لإقْرَاء الكتَاب لهُ ولمِن ينَاظرُ عَليه، فكنتُ أسْتحسنُ ذلك وأصْغي لأشعَار شَواهد الفنِّ، فما هو إلاَّ وقد حَصلَ لي ذوقٌ مَا)[9].

وكذلك الحُضور الدَّائم لمِجلس إقرَاء الشَّيخ التوَاتي بتَوجيه من ابن رَاشد ، يقولُ عبدُ الكَريم الفكُون: (فقدْ كان يحُثُّني علَى الحضور معَه في دَرس شَيخنا التوَاتي، وكنتُ قبلَ ذلك لا أحَضرُه، بل لا أبْغيه، ولا أعرفُه كلَّ المعرفَة، ومنْ جَهل شيئاً عَادَاه، ظنًّا منّي بأنَّ النَّحوَ هو مَا قرأتُه من الأَجروميّة، قَام: فعلٌ مَاض، وزَيدٌ: فَاعلَ، فصرتُ أحضرُ معَه مجلسَ الدَّرس المذكُور)[10] .

وقد لازمَ شيخَه التوَاتي فَترةً من الزَّمن، يقرأعليه كتبَ النَّحو، والتَّفسير والفقْه، ممَّا جعله يتمثَّلُ آراؤه ويستدلُّ بها على كَثير من القَضايا في مؤلَّفاته، وخاصَّةً كتَابه:(فَتح اللَّطيف) عدّة مرَّات.

صفَاتُه:

لم تذكرْ لنا كتبُ التَّراجم من أخلاق عبد الكَريم الفَكّون وصفَاتِه الشَّيءَ الكثيرَ، فقد وصفَه صاحبُ كتاب تَعريف الخلَف برجَال السَّلف بأنَّه (كَانَ إماماً يُقتَدَى بِهَ)، وأنه (كَانَ في غَايةِ الانزوَاء عن الخَلْقِ)[11]، وخاصةً في آخرحيَاتِه حينَ تركَ الاشتغَال بالعلُوم، والعُكوف على حَضرته، والتّردّد على الحرمَين الشَّريفين.

وشهدَ هو على نَفسه بالفَهم وفَصَاحة اللِّسان، والخِبْرة في الخَطِّ، فقد فضَّله الشّيخُ التّواتي على أقرَانه، وكلَّفه بإمسَاك الكتَاب وقراءَة مَا يطلبُ منه ليُناظرَ به الشَّيخُ غيرَه من العُلمَاء، قال: (وكنتُ لفصَاحةِ لسَاني أُمسكُ الكتابَ وأقرأُه عليهِ للْمُناظرَة)[12]، ويضيفُ: (فلمَّا أخذتُ الكتابَ وقرأتُه عليهِ، بسَطَ الله لسَانِي بِقِراءَتهِ، فَكَأنَّني إذْ ذَاكَ كَاتبُه أوْ مُؤلِّفُه في سُرعةِ القِراءةِ ومتَانةِ ضَبطِ الكَلمَات واتِّساق نِظامِها ..)[13].

---

[8] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ص118، ، ومنشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تح: أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1987، ص:53،52،11.

[9] منشور الهداية: 106

[10] المصدر نفسه: 107 .

[11] تعريف الخلف: 167/1 .

[12] منشور الهداية: 106 .

[13] المصدر نفسه: 108 .

وينقل عبد الكريم الفكون أنَّ ابن رَاشد الزَّواوي يشهدُ له بالفصَاحة والفَهم عند الشّيخ التواتي من أجل تمكينه من قراءة الكتاب الذي يدرِّسُ منه الشَّيخ في أثنَاء غيَاب منْ كَان مُمسكاً للكتَاب، بقوله: (ويَذكرُ لَه مَالِي منَ الفَهم وفَصاحةِ اللِّسَان)[14].

– شيوخُه:

ضم كتاب منشورالهدايةِ قائمةٌ طويلةٌ من أسمَاء شيوخِه الذين أخذَ عنهم شتَّى المعارف، ومنْ أبرَزهم:

1 – محمَّد التَّواتي المغربي: الذي أخذَ عنه النَّحو والصَّرف[15] ذَكره عبدُ الكَريم الفكُون عدة مرات في كتَابه: (فتح اللَّطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف)، مُستشهدا بآرَائه على جُملة من القَضايا اللُّغوية، وقد تَرجم له في كتَاب مَنشور الهدَاية ووصفَه بقَوله:(الشَّيخُ، الأستاذُ النَّحريرُ، آخر المتَكلمين، لسانُ حُجةِ المسلمين، أبوعبدَ الله محَمد بن مَزيان التَّواتي لقباً، أصلُه من المغرب، انتقلَ إلى جبَل الزوَاوَة عالمٌ بالنَّحو، لُقَّب بسيبويه زَمانِه، ذَاعَ صيتُه وانتشرَ علمُه بين الطُّلاب، درَّس في مَدينة نقَاوس، وكذلك في قَسنطينة، وفيها نَال شهرةً)[16].

ويَروي المؤلفُ ما قرأَه علىَ هذا الشَّيخ، فيقولُ: قَرأتُ عليه المرادي[17] سنةَ إحدَى وثَلاثين وألف مراراً، وعقائدَ السّنوسي[18] بِشروحِها، وابن الحَاجب[19] بمطالعَة التَّوضيح عليه والتذكرةَ للقرطبي، وحضرته للتَّفسير نحو العشرة أحزَاب، وكتابَ مسلم بن الحجَّاج بمطالعة الأُبِّي[20] وغير ذلك من التَّواليف، وقرأتُ عليه حَاشيةَ جَمع التَّكسير، علَى المرادي لَهُ من خطِّه إلاَّ نزراً منها، وكانَ– رحمَه الله– يسرُّ بمَباحثي معَه[21].

2 – الفَقيهُ الفُهيم النَّحوي أبُوعبد الله محمَّد بن رَاشد الزَّوَاوي: قَدِمَ من زَوَاوة ونَزلَ طالباً عند أهل الزَّاوية المشهورة بأولاد الفَكون، وكان عبدُ الكريم آنذاك حديثَ السَّن لمْ يجمع بعدُ القرآنَ الكَريم، وكغيره من الطَّلبة الوَافدين، حَضر حَلقات الشَّيخ التوَاتي وقرأَ عليه المرادي، يقولُ عنه الفكُون: (كان هو السَّببُ في تعلُّق قلْبي بعلم النَّحو)[22].

---

[14] المصدر نفسه: 108

[15] تاريخ الجزائر الثقافي: 522/1 .

[16] منشور الهداية: 58–59 .

[17] ربما يقصد كتابَ توضيح المقَاصد والمسَالك بشَرح ألفيَّة ابن مالك، أو شرح التسهيل .

[18] محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، عالم تلمسان في عصره،له تصانيف كثيرة منها: شرح صحيح البخاري، وعقيدة أهل التوحيد وتسمى العقيدة الكبرى، وأم البراهين وتسمى العقيدة الصغرى، توفي سنة:895 هـ . ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار الملايين، بيروت، ط: 7، 1986: ج154/7، و تاريخ الجزائر الثقافي: 95/1–98 .

[19] عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، عالم بالعربية، توفي سنة: 645هـ . ينظر: الفيروزابادي، البلغة، نح: محمد المصري، جمعية إحياء التراث، الكويت، 1407 ص:143، والسيوطي، بغية الوعاة، دار المعرفة، بيروت، ص: 323.

[20] محمد بن خِلْفَة بن عمر الوشتاتي المالكي،عالم بالحديث من أهل تونس، نسبته إلى (أبَّة) من قراها من مصنفاته: إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم، مات بتونس سنة: 828 هـ ،الأعلام: 115/6 .

[21] منشور الهداية: 59 .

[22] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية: 62، ومنشور الهداية: 106 .

3 – الشيخ إبراهيم الفلاَري من الذين دفعُوه لتعلم النَّحو، حينَ تحدَّاه وأ خجَله أمَام جَمع من العُلماء والطَّلبة ويعلِّقُ على هذه الحادثَة بقَوله: (كنتُ ذا نَفس أَبيَّة ومعَ صغر سنِّي لا أرضَى أنْ أكونَ خليّ المِعرفَة ممَّا عرفَه غيري)، ويَعني بهِ الفَلاري.

4 – أبو الرَّبيع سليمان بن أحمد القَشِّي، أصلُه من بلدةِ نقَاوس قرأَ عليه: شَرح الصُّغرى، والقَطر، والأَجروميَّة بشرحِها جِبريل، وبعض أوَائل الألفيَّة [23] ومعَ هذا الشَّيخ لمْ يحصلْ إلاَّ على رَفع الفَاعل ونَصب المفعُول وخَفض المِجرو كمَا أنَّه لمْ يُحسن الفرقَ بين ذلك ومَا لاَ بسَه من جهةِ المعنى [24] .

– تلامذته [25]: ومنهم:

1 – أبو مَهدي عيسَى الثّعالبي: وهو أشهرُ تلاَميذ الفَكون، ذكرَ مُؤلفَات شَيخه في كتَاب: (كَنزالرّواة)، قرأَ عَليه المِوطأ للإمام مَالك والصَّحيحين، والسّنن الأربَع، والشّفاء للقَاضي عَياض وغيرهَا[26] .

2 – أبوسَالم العيَّاشي المغربي:حجَّ معه عام 1064هـ، ولازمَه فترة من الزّمن، أخذَعنه بعضَ العلُوم ولاسيَّما الحَديث، ويُعدُّ كتابُه (رحْلَة العيَّاشي) مصدراً هامّا لتآليف شيْخِه عبد الكَريم الفكون، فقد ذكَر شرحَه على أرجُوزة المِكودي واصفاً إيَّاه بالجُودة والشُّمول، وذكر دَيوانَه في مَدح النّبي (ص)[27] ومحدد السنان في نحور إخوان الدخان[28].

3 – بَركات بن بَاديس (تـ:1107هـ)، أخذَ عن الفَكون بعضَ الأجوبَة في مَسائل وألغَاز نَحوية[29]

4 – أبو عَمران مُوسى الفكيرين: أحدُ تَلامذة الشَّيخ التوَاتي من عُلماء قَسَنطينَة، قرأَ على الشَّيخ عبد الكريم الفَكون كتاب المرادي في النَّحو وغيره[30].

5 – الشيخ مخلوف: حضر مجلس عبد الكريم الفكون مراراً، وقرأ عليه النحو وغير [31] .

6 – عَاشُور الفْكيرين: وهو ابن مُوسى الفْكرين، قرأ عَلى الفَكُون المرَادي في النَّحو، وشرحَ المِكودي على الألفيَّة [32] .

---

[23] المصدران السابقان: 61، 60 على الترتيب
[24] المصدران السابقان: 61، 106 على الترتيب .
[25] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 89 وما بعدها .
[26] المصدر نفسه: 90 –91 .
[27] عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،: ج516/2 .
[28] المصدر نفسه: 396/2 .
[29] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 93، وتاريخ الجزائر الثقافي: 268/2–269 .
[30] منشور الهداية: 93–94 . وشيخ الإسلام: 96
[31] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 97 .
[32] المصدر نفسه .

7 – عَاشُورالقَسَنطيني: كان يقرأُ النَّحوَ على الشّيخ عبد الكَريم ويسْتفسرُه مسائلَ كثيرةً في النَّحو والفقْه والكَلام، مُشافَهةً وكتابةً، ذَكر ذلك بقوله: (ولمْ يزَل يسْتشكلُ كَثيرا من المِسائل، نحواً وفقهاً وكلاماً، ويَأتيني بها مرةً ببطَاقَة، ومرةً بالكتَاب نَفسه، ومرةً مُشافهةً، فافتحُ عليه مَا فتحَ الله به)[33].

8 – أبُو عبد الله محمد البُوقلمَامي: قالَ عنه الفَكون: (إنَّه من أصحَابنا وتلامذَتنا، كان ذَا عقل جيِّد وفكْر رَصين، بطئَ الفَهم، ثقةٌ فيمَا يفهمُه... ملازماً للقراءة عليّ... تُوفي بالطاعون [34].

– وفاتُه:

بعد حَياة طَويلة دَامت ما يَقرب من خَمسَة وثَمانين سنةً (988–1073هـ) زاخرة بالجدِّ والاجتهاد والمثابرة في سبيل تَحصيل العِلْم والمعرفة، والجُلوس للإقرَاء والتَّعليم، وإمَارة الوُفود المتوجه للبقَاع المقدَّسة، صار عبد الكريم الفكون إماماً يُقتدَى به بشهادة أهل عصره[35]، مات عبدُ الكريم عن سنة عَالية في ذي الحجة من سَنة 1073 هـ[36]، تاركاً وراءَه جُملةً من المصنَّفات في شتَّى المعَارف.

– آثارُه:

يذكرُ العياشي[37] أنَّ مرويَات عبد الكَريم الفكّون مُستوفاةٌ في فَهرسةِ الشيخ عيسى الثَّعالبي في كِتابهِ: (كَنزَ الرُّواةِ)، وقد سردَ أبو القَاسم سعد الله قائمةً تَضم جملةً من تلك المؤلَّفات، أذكرُ منها:

1 – فتحَ اللطيف [38]: هو موضوعُ البَحث، وسأتنَاوله بالدِّراسَة والتَّحليل في القسم الثاني .

2 – منشورَ الهداية في كَشف حال من ادَّعى العلمَ والولاَيَة[39]: هو كتَاب في التَّراجم يكشفُ عن أحوَال النَّاس في عَصرالمؤلِّف، بأسلوب سهل يُوحي بالنَّقد الاجتمَاعي والدِّيني، والسّيَاسي .

3 – ديوانَ في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – مرتبٌ على حروف المعجم.

4 – مُحدَّدَ السنَان فِي نُحور إخْوان الدُّخَان: يَحتَوي جُملةً منْ أجوبةِ الأئمَّة حولَ تَحريم الدُّخان، وهو فِي عدَّة كَراريس[40].

5 – الدُّررَ في شرح المختصر: وهو شرحٌ على مُختصر عبد الرَّحمن الأخضَري[41].

---

[33] منشور الهداية: 94 .
[34] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 96، ومنشور الهداية: 209 .
[35] تعريف الخلف: 168/1 .
[36] رحلة العياشي: 514/2، وشجرة النور الزكية: 310 .
[37] رحلة العياشي: 514/2، والأعلام: 56/4.
[38] رحلة العياشي: 514/2، و تعريف الخلف: 168/1، وشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 150، 181 .
[39] شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 146، 167، وفتح اللطيف: 109
[40] رحلة العياشي: 2 /521، وتعريف الخلف: 168/1، وشيخ الإسلام: 146، ومنشور الهداية: 79 .

6 – فَتح المِولى بشَواهد ابن يَعلى[42]: ذكرَ الدّكتور أبُو القَاسم سَعد الله أنَّه توجدُ منه نسخةٌ في مخْطُوطات المكتبة العبَّاسية في البَصرة بالعرَاق رقم: ج/64، مذكورة في قسم الآداب والشعر، إعداد: علي الخَاقَاني، طَبع المِجمع العلْمي العرَاقي 1961م، القسم الأول عددُ صفحاتها 324، مبتورة الآخر[43].

7 – شَرحَ شَواهد الشَّريف علَى الآجروميَّة: التزمَ فيه عقبَ كلِّ شَاهد ذكرَ حديثٍ مُناسبٍ للشَّاهدِ[44].

8 – حوادثَ فقراء الوقت[45] .

9 – سِربَالَ الرِّدةِ في جَعل السَّبعين لروَاة الإقْرَاء عدَّة: في القراءات[46].

10 – فتحَ الهادي في شَرح جمَل المِجرادي: في النَّحو[47].

11 – شرحَ مخارج الحروف من الشاطبية [48] .

12 – فتحَ المالك على لامية ابن مالك: كتاب في شرح لامية ابن مالك [49]، أشار إليه عدة مرات في كتابه فتح اللطيف .

13– تقييداً أوردَ ذكرَه في كتابه فتح اللطيف، ولم يشرْ إلى نوع هذا التَّقييد ففي شرحِه للفظَةِ (الصَّلاة)، قال: (بيَّنا ذَلك فِي تَقيِيدِنَا على الأسئلةِ الواردة ..)[50].

القسم الثاني: كتاب فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف:

يزخرُ التُّراث اللُّغوي العَربي بجُملة غير يَسيرة من المنظومات التَّعليمية في مُختلف أنوَاع عُلوم العَربية، كالقرَاءات، والنَّحو، والصَّرف والعَروض، والخَط، وغَيرها، أنْشأهَا أصحَابُها بغَرض حفْظ واستَيعَاب كمٍّ كَبير من المعرفة والعُلوم في جُملة من أبيَات الشّعر ولعلَّهم بهذا العَمل كانُوا يَستظهرُون القولَ: من قَرأ المتونَ حَازَ الفُنونَ .

وتُبرزُ تلكَ المنظومَات قدرةَ صَاحبها علَى الإنشَاء والتَّأليف، وضَغط الضَّوابط والتَّعاريف في أبيَات من الشِّعر، يتيَسَّر غرسُها في الذَّاكرة ويسهُل استظهارُها عندَ الحَاجة، ممَّا دعَا العلمَاءَ إلى الإقبَال عليها شرحاً، و تدريساً وتعليقاً، وتذييلاً، حتَّى أصبحتْ عنواناً على المعرفة والتَّفوق .

---

[41] شيخ الإسلام عبد الكريم: 147 .

[42] هو مشروع بحث لنيل دكتوراه الدولة في جامعة الجزائر.

[43] تاريخ الجزائر الثقافي: 160/2 .

[44] شجرة النورالزكية:310،والأعلام: 56/4، وشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون:151،وتاريخ الجزائر الثقافي:160/2 . ولعلَّ هذا الكتاب هو هو نفسه: كتاب فتح المولى السابق، كما ذهب إلى ذلك الدكتو أبو القاسم سعد الله .

[45] شجرة النور الزكية: 310، الأعلام:56/4 .

[46] شيخ الإسلام: 147 .

[47] شجرة النور الزكية:310،وشيخ الإسلام:151،وفي تاريخ الجزائر الثقافي 160/2 (فتح الهادي بشرح المجرادي).

[48] شجرة النور الزكية: 310، شيخ الإسلام عبد الكريم: 150 .

[49] مخطوط خاص، حقق في جامعة الجزائر. رسالة دكتوراة 2008

[50] فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف، لعبد الكريم الفكون ص: 90. وينظر شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: 146، 147 .

ومنظومة المكودي[51] واحدة من هذه المنظومات معروفة باسم: (البَسطُ والتَّعريف في نَظم ما جلَّ من التَّصريف)، وهي الأرجوزةُ التي قام عبد الكَريم الفكُون بشرحها، ألَّفها صاحبُها علَى غرَارمنظُومات منْ سبقَه منَ العلمَاءِ، ومنهم أفادَ، ومن نبِعهم استَقى، وعلَى منْهجهم سَارَ، ضَبطَ فيها كلَّ مَا جلَّ ومَا حَقَّقَ من مُصنفَاتِ العُلماء، فجاءتْ سهلةَ الفَهم، كثيرةَ العلْم، كما ذَكرذلك فِي مُقدمَة أُرجوزَته .

فـ(البَسْطُ وَالتَّعْريفُ): منظومةٌ تعليميّةٌ، تُعالجُ مباحثَ علم الصّرف العَربي عددُها: تسْعَةُ أبيَات وأربَعمائَة، كما نصَّ عليها النّاظم، بدأها بمقدِّمَة في ستّة وعِشرين بيتًا تمهيداً للقَارئ . وعلَى غرَار من سبقَه في هذا الميدَان، ضمَّنها الحمدَ لله على نعمَةِ المِعرفةِ بأسلُوبِ العَرب نظماً ونثراً،ثم الصلاةَ على النَّبي (ص)، لينصَّ بعدَ ذلكَ على الهَدف من تَصنيفِه، والمتمثِّل في نَظم ضوابطِ علمِ التَّصريف؛ وجَاء هذا النَّظمُ على بحر الرَّجْز، نظراً لكَون هذا البَحر عذباً وخَفيفاً كما قال المصنِّف.

وقد بنَى المكُّودي أرجوزتَه على طريقةِ النَّظم السَّائدة منْ جعل كلِّ بَيت بِقافيةٍ مستقلَّة، متطابقةٍ فِي الصَّدر والعَجز، ثم بيَّنَ بعدَ ذلك ما احْتَواه هذا النَّظمُ – رَغْمَ صغَر حَجمهِ – من غُررٍ وفَوائدَ جَمَّةٍ.

وأمَّا عنوانُها فيستمدُّ ممَّا ذكره صاحبُها نفسُه، حيثُ قالَ:

سَمَّيتُهُ بِالْبَسْطِ وَالتَّعْرِيف فِي نَظْمِ مَا جَلَّ مِنَ التَّصْرِيف[52]

ونقفُ في هذه المقدِّمة على صورة واضَحة، تُبرزُ لنا قيمةَ المؤلَّف ومكانتَه في عصرهِ وبيْنَ أقرَانه ونظرَتَه لهؤلاء الأقران وكيفَ صنَّفهم إلى: نَاقدٍ متعسِّف، وعَالم غَير مُنصفٍ في الحُكم على مَنظومتِه، التي تُعدُّ في نَظر–كبَار أهْل هذَا العلْم– من أفْضل الأعمَال اللُّغوية.

وبينَ المقدمَة والنِّهاية، جمعَ المكّودي مُعظمَ الموضُوعات الصِّرفيةِ المعروفةِ في كُتبِ الأقدَمين، بدايةً بِمبحثِ التَّعريف بعِلم الصَّرف إلَى مبحَث الإدغَام، بأسلُوبٍ سَهل، حَسن السَّبكِ، يُدركُ معه القَارئُ الأحكَامَ والضوابطَ الصرفيةَ بِيُسر ودونَ عَنَاء، فهي منظومةٌ شاملةً لكلِّ ماله صلةٌ بالموضُوعات الصِّرفيةِ التي تَناولها أهلُ هذا العلم، وبالتَّالي فَهيَ مثالٌ للجهد الطيِّب الموفَّق في حفظِ التُّراث الصَّرفي.

ووظف المكودي في عرض تلك المباحث الصرفية في مَنظومتِه لفظتيَ: (القَوْلُ في...) أحياناً، و(فَصْلٌ..) أحيانا أخرى، كقوله: (القَولُ في أبْنيةِ الأسماء)[53]، و(القَولُ فيمَا لاقَ من إدغَام ..)[54]، و(فَصلٌ وإنْ فَاء افتعَال..)[55]، و(فصلٌ وحَذفُ الوَاو.)[56]. وقد علّل الشّارح سبب استعمال

---

[51] أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صَالح المكُودي عالمُ فاس وأَديبُها ونحويُها،، نسبتُه إلى بني مكود قبيلةٌ قربَ فاس، وهو آخر من درَّس كتابَ سيبويه بفَاس، وبهَا ماتَ سنةَ 807 هـ.

[52] مخطوط كتاب البسط والتعريف في علم ما جل من التصريف، الإمام المكودي، ورقة:2ب.

[53] فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف: 126

[54] المصدر نفسه: 453

المكودي لذلك، فقال:(إنَّ ما كان من أصول المسَائل يجعلُه ترجمةً، فيعبرُ عنه بالقَول، وما كانَ من أبحَاث البَابِ يجعلُه فصلاً، ولا مُشاحةً في الاصْطلاح، فتأملْه)[57] .

ومعروفٌ أنَّ المكودي ـ رحمه الله ـ قد شرحَ ألفيةَ ابن مالك مرتين: شرحٌ كبيرٌ وآخر صَغيرٌ، فلا شكَّ أنَّه لمْ يجدْ في قِسم الصَّرف عند ابن مالك مَا أرادَه، فأنشأَ أرجوزَته المطولَة لتكونَ أعمَّ وأشملَ ممَّا وردَ في الألفيَّة، أو في الكَافية الشَّافيةِ على السَّواء، وفعلاً كان له مَا أرادَ في مَنظومتِهِ، ورغم ذلك فإنَّ الرجلَ لمْ ينلْ حظَّه من التَّعريف به في كُتب الأقدَمين ولمْ يشتهرْ كثيراً- وإنْ عُرفَ بشرح ألفية ابن مَالك- إلاَّ أنَّه بَقي مجهولاً بالنِّسبةِ لمنظومةِ (البَسط والتَّعريف) التي لم تأخذْ حقَّها في الظُّهور ولمْ تشْتهرْ على السَّاحة اللغويَّة شهرةَ غيرهَا من الأعمَال اللغوية الأخرى، وأَعني الصَّرفيةَ منها، فما السرُّ في ذلك؟

لقد جَارَ التاريخُ على هذه المنْظومةِ، فلمْ يهيأْ لهَا شُرَّاحاً من أَمثال شُراح ألفية ابن مَالك في النَّحو، كبدر الدِّين بن محمد بن مالك المعروف بابن النَّاظم، (ت: 686هـ)، وابن هشام (ت:761هـ)، والمرادي (ت: 749هـ)، والأشموني (ت: 929هـ)، وغيرهم ممّن لهم القدرة على إيصالها للنّاس- تدريساً وشرحاً وتفسيراً- فظلتْ حبيسةً بينَ رُفوف المكتباتِ تَنتظرُمنْ يحنُو عليها لينشرَها، إلى أن جَاء العالمان: عبد الكَريم الفَكون، و أبو بَكر الدِّلائي[58] في القَرن الحَادي عَشر الهجري، فالتَفتَا لها وبعثَاها من مَرقَدها، لينبِّها الناسَ لهذا العمَل المغمُور بعدَ مُرور ما يقربُ منْ ثلاَثةِ قُرون على تَاريخ تَأليفها في أواخر القَرن الثاّمن الهجري، وفي القرن الحالي قام الشيخ عمر بن أَبي حَفص المعروف بالشيخ عمر بوحفص الزموري – رحمهُ الله[59] بشرح هذه الأرجوزة أيضا شرحا مطولا وسَمَه بـ(**فَتح اللَّطيف في التَّصريف على البَسط والتَّعريف**)، وهي الشروح الثلاثة التي وصلت إلينا، وربما يكون هناك من اقتربَ من هذا العملَ قراءةً وإقْراءً، وشرحاً وتدريساَ-إلاّ أنّ أيدي الزمَان لم تكنْ أمينةً، فلم تسعفنا من الإطّلاع على تلك الأعمَال، وضاعتْ كغيرها من الأعمال التُّراثية الكثيرة ؟

وأُرجحُ أنْ تكونَ هناك شروحٌ أُخرى لمنظومة المكودي في الفَترة ما بين تَاريخ تَأليفها، وتَاريخ تَأليف الشروح الثلاثة، لأسبَاب منها:

---

[55] المصدر نفسه: 371

[56] المصدر نفسه: 379

[57] المصدر نفسه: 143.

[58] محمد بن محمد بن أبي بكر الدّلائي، أديب، من علماء المالكية، من بيت إمارة في المغرب، من مصنفاته: فتح اللطيف في علم التّصريف، ونتائج التحصيل في شرح التسهيل وغيرهما، توفي بفاس سنة: 1089هـ . الأعلام: 64/7.

[59] طبع الكتاب سنة 1991م، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، دون تحقيق.

1 – إنَّ المكُّودي . عالمُ فَاس ونحويّها يُشهدُ له أنَّه درَّس كتابَ سيبويه، فقد ركِبَ البحرَ ونجَا من أخطَاره، فكيفَ يُعقلُ أنْ تُجْهلَ أعمالُ هذا العالم ؟ خاصةً وأنَّه اشتُهر بشَرحين لألفيَّة ابن مَالك، ودُرِّس الشَّرح الصغير في الديَّار المِصريَّة [60] .

2 – لاشكّ أن هناك حَلقة مَفقودة ما بَين تاريخ تَأليف المنظُومة في القَرن الثامن الهجري، وتاريخ أوَّل شَرح وصلَنا في القرن الحَادي عشر، وهي فَترةٌ طويلةٌ جداّ، فهل يُقبلُ ألاَّ يَتنبه واحد من تَلامذة المكّودي أو أَحد مُريده، أو أحَد الدَّارسين لهذَا العمَل فيقومُ بشَرحه والتّعليق عليه ؟

ومما يُستغربُ له أنَّ هناك من أرَّخ لحيَاة المكُّودي ولم يذكرْ أنَّ له أرجوزةً في علم التصريف، وإن أشار إليه، فإشارتُه مُقتضبة لا تَفي بحقِّ الرَّجل، وهو(عالمُ فاس وأديبُها ونحويُها وصاحبُ المقصورة، وشَرح الخلاصة وغير ذَلك من التَّآليف)[61].

ومن الإنصاف أن نجدَّ ونَجتهدَ لبعث مثْل هذه الإعَمَال التُّراثية وإخْراجها ووضْعها أمامَ الدَّارسين بما لهَا وما علَيها ؛ لنسهمَ بما استطعنا في إزالَة الغبار الجَاثم على كثيرمن الأعمَال التراثية، التي مازالت مهملة في رفُوف المكتَبات العامَّة والخّاصة على السواء، ولعلَّ هذا ما دفعَني للحديث عن هذه المنظومةِ، وتحليلِها بقَليل منَ الإيجَاز، والتَّعريف بصَاحبها، وعبد الكريم الفكون بشرحه لهذه المنظومة قد أزاح ستار النسيان على هذه الأرجوزة، ولفت انتباه العلماء إلى قميتها العلمية في مجال ميدان علم الصرف.

ويعد كتاب: (**فتح اللّطيف في شَرح أُرجوزَة المَكودِي في التّصريف**) معيناً ثريًّا في الدراسات الصرفية، وهو من المراجع الشاملة لكثير من الآراء، ومن الكتب الصرفية القليلة التي وصلت إلينا، لذا فهو يُصنَّف ضمنَ الكُتب الصَّرفية الشَّاملة لمادَّة علم الصرف؛ نظراً لما احتَواه من مبَاحث مُختلفة تخصُّ هذا العلمَ، كما أنَّه يُعد من الآثار التُّراثية اللُّغوية التي لمْ يكنْ لها حظٌّ وافرٌ لدى النُّحاة والصَّرفيين على السَّواء لدرَاسته وتَدريسه، شأَنَ الكَثيرمن الآثَار الأخْرى التي مَا زالت تَحت رحمَة الأرَضة والتَّآكل والضياع.

وليس لمدَّع أنْ يدَّعيَ التجديدَ في مثل هذه الموضُوعات، والوقوفَ على نَتائج في نهَاية بحثه، عدا إحيَاء نصٍّ من النُّصوص القَديمة وبَعثه إلى الوُجُود وإنقَاذ مَا يمكنُ إنقَاذه من هذا التُّراث .

ويقتَضي منِّي منهجُ البَحث، الحديث عن النقَاط التالية:

أ- **نسبةَ الكتَاب وصحَّة عُنوَانه:**

---

[60] الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: 97/2 .
[61] كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: 100/2-101 .

فنسبةُ الكتاب لمصنِّفه وصحَّة عنْوانه، هما من المسائل الدقيقة التي تتَطلَّب من البَاحث التبصُّر والتأني؛ لتجنُّب الأحكَام العشوَائيَّة، حتَّى تُنسب الأعمالُ لأصحابَها، خاصة ونحن نعلمُ أن عدداً غيرَ يَسير من أسَماء المؤلّفين والمؤلَّفات- في مَيدان تَحقيق التُّراث- قد تشَابهتْ أسمَاؤُها على النَّاسخين والمحقّقين والدَّارسين على السَّواء، ممَّا سبَّب خلطاً كبيراً صعَّب إلى حدٍّ كبيرالتيقنَ من الحَقيقة العلميَّة في هذا الميدان.

ولتفَادي هذا الخَلط، حاولتُ أن أتتبَّعَ ما وردَعن الكتَاب وصَاحبه في جُملة من الرِّوايات كمَا ذكرَها أصحابُها، وخَلصتُ إلى أنَّ نسبَةَ الكتَاب لعبد الكَريم بن محمّد الفَكون صحيحةٌ، ولا يتطرقُ إليها شكٌّ بدليل:

1- أن المصَادر التي تَرجمتْ لعبد الكَريم الفَكون ذكرتْ له كتاباً شرحَ فيه متناً في علم التَّصريف[62]

2-ما جَاء في مُقدمَّة الكتَاب على لسَان مؤلِّفه: (يَقُول العبدُ الفقيرُ، لابسُ ثوبِ التَّقْصِير، الرَّاجي منْ مؤلاه المغْفرةَ علَى النَّقير والقطمير: عبدُ الكريم بنُ محمد الفكُّون، غفرَ الله لهُ، وأصلحَ عملَه، آمِين، بِجَاه سيِّد الأنبياءِ والمرسَلين)[63] .

3- إحَالات الشَّارح إلى بَعض مُؤلفَاته في كتَاب: (فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف) في كثير من الأحيان، ففي حَديثه عن فائدة علم التصريف قال: (وقد ذكَرنا نبذةً من محَاسن علمِهِ في فَتح المالك، فانظرْه منه..)، وذكرالمصدرَ نفسَه في حديثه عن مَعنى (أَمَّا)، فقال: (وفيها أبحاثٌ ذكرتُها في شرحِنَا فَتح المالِك على لاَميةِ ابنِ مَالك)[64].

ويحيل إلى مؤلف آخر من مؤلفاته، حين الحديث عن الجاهلين الذين يدعون العلم والمعرفة في زمانه بقوله: (وقد ذكرْنَا في تأْليفِنَا: مَنْشُورُ الْهِدَايةِ فِي كَشْفِ حَالِ مَن ادَّعَى الْعِلْمَ وَالْوِلاَيةِ، من حَال الصنفين ودعوى الفريقين ما يكتحلُ بإثمده أهلُ الكَمال، ويروى من عذْب فُراتِه أهلُ الفَضل والإفْضال)[65]

وأمَّا **العنْوانُ** فقد تَباينت الآرَاء في تَحْديده على النّحو التَّالي:

1-نصَّ المؤلف في مقدمَة شَرحه على العَنوان، فقالَ: (سَمَّيْتُهُ فَتْحَ اللَّطِيفِ فِي شَرْحِ أُرْجُوزَةِ الْمَكُّودِي فِي التَّصْرِيفِ)[66].

---

[62] رحلة العياشي: 391/2، وتعريف الخلف برجال السلف، 166/1-169، والأعلام: 56/4

[63] فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف:86.

[64] المصدر نفسه: 102.

[65] المصدر نفسه: 109.

[66] المصدر نفسه: 87.

2 – تحدّث أبُو سَالم العيَّاشي المغربي(1037-1090هـ)[67] عن شيخه الفَكون في رحلَته، ومدحَ الكتابَ وأثنَى على صَاحبه، وإجَادَته في عَرضه، ولمْ يذكرْ عنواناً لهذا الكتاب، مكتفياً بالقول: إنَّ للفكُون شرحاً على أرجوزَة المِكودي في التَّصريف[68].

3 – ونقرأُ في (كنْز الرّوَاة) للثّعالبي(1020-1080هـ)[69] نصاً صريحاً يخبرُنا أنّ :(منْ تَصَانيف الفكُون: شَرحُه على المِكودي في التَّصريف الذي سمَّاه: البسْط والتَّعريف ..)[70] .

4 – ويذكرُ صاحبُ كتابُ الأعلاَم عنواناً مُغايراً، هو(شَرح نَظْم المِكُودي)[71].

5 – ويشير الشيخ (مهري المولود)[72] في تَصديره لكتَاب (فَتح اللَّطيف في التَّصريف على البَسط والتَّعريف)، للعلاَّمة عمر بن أَبي حَفص- رحمهُ الله- إلىَ أنَّ للشّيخ عبدِ الكَريم الفكون شرحاً وجيزاً مخطوطاً لا يعرفهُ الناسُ قال: (ولم يكن لهذا المتن[73] النَّفيس شرحٌ فيمَا نعلمُ، سوَى شَرح وَجيز مَخطوطٍ للعلاَّمة الجليل عبد الكَريم بن الفْكُون القسَنطيني، فَرغَ منْ تأليفِهِ أوائل صفرمنْ عام ثَمانيةٍ وأربَعين وألفٍ...)[74]، فقدْ وصفَه بالشَّرح الوَجيز، وغَير المعروف بينَ أهل العِلم، ولمْ يذكرْ له عنواناً .

6 –كما أشار الدكتور بوعناني مختار في كتابه: المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون إلى أن عبد الكريم الفكون له (شرح على البسط والتعريف في التصريف للمكودي)[75].

ولعلَّ المتتبعَ لهذه النُّصوص ، يدركُ مدى التَّباين الحَاصل في مُحاولةِ تَحديدِ عُنوان وَاحدٍ للكتَاب والاتِّفاق علَيه، وهوما يفتحُ أمامَ البَاحثين مَجالاتٍ واسعةً للبَحث والتَّنقيب في خَبايا تُراثنا، بغيةَ تحقيق القَليل من الإجمَاع على الكَثير من القَضايا المتَعلقةِ بالتُّراث .

ومع كلِّ هذه الاخْتلافات في تَحديد العُنوان، فإنّ في تَصريح عَبد الكَريم الفَكون في مُقدّمة كتَابه الخبرُ اليقينُ، فالنصُّ صريحٌ في تحديد العنوان ولا يحتملُ أي تأويل لعنوان آخر.

ولكن **متى أُلِّفَ هذا الكتَاب ؟**

لم أجدْ في كتُب التَّراجم القَليلة الوَاقعة بين يدَي، والّتي تَرجمتْ لحياة عبد الكَريم الفَكون إشارَةً واضحةَ تكشف تاريخَ تَأليف هذا المصنَّف، وقد أجتهدَ الدكتور أبُو القَاسم سَعد الله

---

[67] عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي أبو سالم، من أهل فارس، تلميذ الفكون، قام برحلة دونها في كتابه (الرحلة العياشية) .

[68] رحلة العياشي: 391/2، وكذلك نقله صاحب كتاب: تعريف الخلف برجال السلف: 167/1. وينظر: شيخ الإسلام: 184

[69] أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي (1020-1080هـ)، ولد ونشأ في زواوة، واحد من تلامذة الفكون، له جملة من المصنفات منها: (كنز الرواة)، تناول فيه أسماء شيوخه والتعريف بهم وبمؤلفاتهم . الأعلام: 108/5 . وشذرات الذهب: 297/8 ورحلة العياشي: 126/2 .

[70] نقلا عن كتاب شيخ الإسلام:185 .

[71] الأعلام: 56/4

[72] الشيخ المولود مهري العطوي، كان إمام المسجد العتيق في مدينة وادي الزنانتي .

[73] ويقصد بالمتن: منظومة المكودي

[74] فتح اللطيف على البسط والتعريف للزموري:5.

[75] مختار بوعناني، المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، دارهوما، 2001، ص:36.

-جزَاه الله خيراً- في تَحليل جُملة من الأحْدَاث التَّاريخية في عَصرعبْد الكَريم الفَكون ؛ توَصَّل من خلالهَا إلى أنَّ سنة 1048هـ هو تاريخُ تَأليف هذا المصنَّف، وهو التَّاريخ نفسُه الذي وجدتُه مدونا في الصّفحة الأخيرَة من نسخة مكتبة جامعة قسنطينة: (..قالَ مؤَلِّفُه: وقد فَرغتُ منْ مُسودَّته غيرَ مُراجع لها، ولاَ نَاظِر في مَرقُومها في يوم الأحَد أوائل صفر الخَير من عَام ثمانية وأربعين وألف)[76] ومُدوناً أيضا على آخر صَفحة من النّسخة (م) لمالكها علي أمقْران – رحمَه الله.

ب . مَوضُوع الكتَاب:

فمَوضوعُ الكتَاب- كمَا صرَّح به مؤلفهُ- يتناولُ أبوابَ علم التَّصريف الذي يُعَدُّ (مِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْطَوِى عَلَيْهِ الجَنَانُ، وَيَتَعَاهَدهُ اللِّسَان، ويَشْرُفُ بِمَعْرِفَتِهِ الإنْسَانُ)[77].

ج – سبَب التّأليف:

يعودُ سببُ تأليف كتاب (فَتْح اللَّطيف...) إلى رغبة بَعض طلَبة عبد الكريم الفكُونِ، ولم يذكُر المؤلفُ اسماً ما، أو يصف لنا هذا (البَعْضَ) وصفاً، يمكِّننَا من مَعرفة بَعض الجوانب الغَامضة ممَّا كَان يُحيطُ بالمؤلّف وعَصره، كأسمَاء من كَان يحضر حَلقَاته، أو اسم أخ عَزيز، أو رَفيع مَرتَبة استجَاب لطَلبه في وضْع هذَا الكتَاب، فقد اكتَفَى بالقَول: (رَغِبَ مِنِّي بَعْضُ الطَّلَبَةِ أَنْ أجْعَلَ لَهُمْ تَقْيِيداً عَلِى مَنْظُومَةِ الشَّيْخِ الْعَالم الْعَلَم النَّحْوِي اللُّغَوِيِّ أَبِي زَيْد عَبْدَ الرَّحْمَان بْنْ عَلِيٍّ المكُّودي...)[78].

د– الغايةُ من المؤلَّف:

أمَّا الغَايةُ من المؤَلَّف، فهو تبسيط المنظومة الصَّرفية للطلبة، بشَرح (يحلُّ أَلْفَاظَهَا، وَيُعِينُ عَلَى فَهْمِهَا حُفَّاظَهَا)[79]، وعليه فقدْ ألزَم الشَّارحُ نفسَه الابتعادَ عن التّفصيلات وكَثرة الخلاَفَات التى تُشعِّبُ القَضايَا، وتُفوِّت على الطَّالب فرصةَ الفَهم والإدرَاكِ، (مُقْتَصِراً عَلَى فَكِّ اللَّفْظِ وَإِبَانَة المعْنَى، مُجَانِباً التَّطْوِيلَ في النَّقْل والبَحْثِ، وتَفَاصِيل الْحُشيِّ، إلاَّ مَا عَسَى أَنْ يَعْرِضَ إِرَادُهُ، أَوْ مَا لا بُدَّ مِمَّا لاَ يَسَعُنِي تَرْكُهُ).

منهجُه في الكتَاب:

حاولَ عبد الكريم الفكُون تجسيدَ ما صرَّح به في مُقدمَة كتَابه في أثنَاء تنَاوله لشَرح أبيَات الأرجُوزة، وكان يذكِّر القارئَ في كلِّ مرة بأنّه ملتزمٌ بمَا رسمَه لتبليغ مَقاصده الّتي تَوخاها، والغَايات التي سعَى لتَحصيلها من شَرحه، وتتلخَّص تلك المقاصدُ في:

---

[76] فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف: 483.
[77] المصدر نفسه: 86 .
[78] المصدر نفسه: 86-87 .
[79] المصدر نفسه:87.

1- تعريف المبتدئين بعلم الصَّرف، وتَدريبهم علَى مَسَائله، فالشرح لا يَكون إلاَّ (تَدريباً للمُتعلم وتَدريباً للطَّالب وتَنبيهاً له على كَيفة أخْذ الأحكَام الغَامضةِ من الألفَاظ التي هي غير وَاضحة في تَأد ية المراد)[80]، وكلُّ تَفصيل هو إرْشادٌ منه للطَّالب وحثٌّ له علَى ضَبط المسائل وحِفْظِ قَواعدِها و أصولِهَا.

2 - تَجنُّب الاسْتطرَاد والتَّطويل في عَرض المسائل وشَرحها، كقَوله: (والمسألةُ تحتملُ غيرَ هذا، ولكنّ هذا كافٍ في مَقدم الاختصَار)[81]، وقوله: (وأدلَّتُهم مذكورةٌ في غَيره، وجلبُها يخرجُ عن المقصُودِ)[82]

3 - لم يُخالف - في أغلب الأحَيان- منْ سَبقه من شرَّاح المنظومات التَّعليمية في كيفيَّة تَقديمه الأبيَات وطَريقة شَرحها، فهو يَذكرُ البيتَ أوْ الأبيَات من الأرجُوزة مستعملاً الحرفَ (ص)، بديلاً لـ(قالَ المصنِّفُ..)، أوما في معناه، والحرفَ (ش) لمعنَى (قالَ الشَّارحُ)، وهذا نهجُه في كلِّ الأرجُوزة، ليبدأ بعد ذلك بشَرح تلك الأبيات، فيفُكُّ رُموزَها، ويوضِّح غَامضَها، مُتَدرِّجاً في عَرض القَضايَا الصَّرفية، يستعرضُ آراءَ النُّحاة فيها، مُبيناً صحَّة المذهب الذي يُوافقُه، مُعارضاً منْ يُخالفُه، مُدعِّماً ذلك بالأدلَّة والحُجَج بشَواهد من القُرآن الكَريم، والحَديث النَّبوي الشّريف، والشّعر العَربي، وأحياناً من مَأثُور كَلام العَرب، غيرَ غَافل شَرحَ مَا يقدِّمه كشَاهد، ممّا جعَله يستَطردُ أحيانا، فيطيل الحديث في جلب الأمثلة وتنويعها في المبحث دون الحاجة لذلك، يقول في نهاية حديثه عما كانت زيادة التضعيف فيه في موضع العين أو اللام: (وأفادك جلْبُنا لهذا الكلام زائداً على مثال النَّاظم ممَّا كان على وَزنِه، فاعرفْه، فقدْ طالَ بنَا الكلامُ حتى خَرجنَا به عن المقصُودِ...)[83].

ولعلَّ تقديمَ الأبيَات بهذه الطَّريقة قبلَ الشَّرح قد حَفظَ لنا هذه المنظومَةَ من الضَّياع كما ضَاع جُزءٌ غيرُ يَسير من تُراثنَا اللُّغوي، ممَّا يُمكننَا القول: إنَّ كتاب فَتح اللَّطيف هو نُسخةٌ أُخرى لأرجُوزة المكّودي .

فكيف عرضَ عبدُ الكَريم الفَكون هذه الأبيَات وكيفَ شرحها:

إنَّ تبَاينَ الموضوعات الصَّرفية التي تَضمنتْها أبياتُ الأرجوزَة، كانتْ سبباً في عدَم التزام المصنِّف طريقةً واحدةً في عرضهِ للأبيات التي يشرحُها، فهولمْ يلتزمْ بمنهَج مُعيَّنٍ في شَرحه وتَفسيره لأبيَات الأرجُوزة، فقد أوردَ نصفَ البيت، والبيتَ الواحدَ ، والبيتيْن، والثَّلاثَة، بلْ سَبعةَ أبيَات مرةً واحدةً .

---

[80] المصدر نفسه:148.
[81] المصدر نفسه:158.
[82] المصدر نفسه:141،130.
[83] المصدر نفسه:165.

إلاَّ أنّ هذا التَّفاوت في عَرض الأبيات من ناحية، وشَرحها وتَفسيرما احتوتْه من ضَوابط صَرفية من ناحية أخرَى، قد جعل منهجه يختلُّ، وكاد يغيبُ، بدليل أنَّ شرحَ البيتَ الوَاحد قد يشغلُ نصفَ صَفحة، أوصفَحة واحدة[84]، أو صفَحتين أو ثَلاث[85]، في حين يشرحُ ثلاثةَ أبيَات في صفحَة وَاحدَة، بلْ سبعةَ أبيَات في صفحَة ونصف[86] .

وهذا التّفاوتُ في الشَّرح، يَعودُ لمِا يتطلَّبُه كلُّ مبحَث صرفيٍّ على حدة أويرجعُ لانسيَاق الشّارح أحياناً للإستطْرادَات التي قد تَكون القاعدةُ الصَّرفية في غنًى عنها، وهو مَا أشار إليه الشَّارحُ في كلِّ مرة.

وتظهرُ الطَّريقةُ التى سار عليها الشارحُ لأبيات المنظومة على النحو التالي:

1- **التَّصديرُ بشَرح الضَّوابط الصَّرفية** التي تَتضمَّنها الأبيَات مُباشرةً مثل ما يُصادفُنا في مَبحث: قَلب اليَاء واواً، قالَ: (يَعني أنَّ اليَاءَ السَّاكنةَ المفردةَ في غَير جَمع، يجبُ إبدالُها واواً إذَا انضمَّ ما قبلَها، نحو: (مُوقِن)، أصلُه: (مُيْقِنٌ)؛ لأنَّه من(أَيْقَنَ)، فقُلبت الياءُ واواً لانضمَام ما قبلَها)[87]. وكذلك في مبحثي الاسْم المجرد والمزيد، وزيادة الهاء، وغيرها.

2 - **البدْأُ بشَرح بَعض المُفردات** التي تَضمّنتْها الأبيَات لغةً واصطلاحاً: ففي مَبحَث كيفية الوزن، قال:(الفصلُ لُغةً هوالقَطعُ، وفي الاصْطلاَح قَطعُ بحْث سَابق عن بَحث لاَحق)[88].

3- **البدأ بشَرح مَعاني الألفَاظ اللُّغوية:**

فَفي البَيت رَقم: (1) من الأرجوزة بَدأَ مُبَاشرةً بشَرح جُملة من الألفَاظ نحوقوله: (الْحَمْدُ: هو الثَّنَاءُ الجَميلُ، الإخْتيَاري منْ نعْمَة أوِْغَيْرهَا...). و(خَوَّلَنَا: أيْ مَلَّكَنَا نعَمَه، بمَعنَى: أَعْطَانَا إيَّاهَا...)، و(الحجَا: هو العَقلُ ...)[89]

ومنه قوله أيضاً: (السَّلْهَبُ هو الطويلُ، وهذَا المثالُ ذكره النّاظمُ لمِا وقعَ فيه الإبدَالُ والقلبُ ...)[90].

4 - **البدأُ بإعْرَاب بَعض كَلمَات الأُرجُوزَة:**

من نحو: (القَولُ: هو عَلَى حَذف مُضَاف هو الْخَبَرُ المحْذُوفُ هو ومُبتَدَأَه، والتقدير: هذَا بابُ القول ...)[91]

5 – **إشرَاك القَارئ:**

---

[84] الأبيات رقم: 107، و 207، و 213 من الأرجوزة.
[85] الأبيات رقم: 28، و360-362 من الأرجوزة
[86] الأبيات رقم: 132-138 . من الأرجوزة
[87] فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف:314.
[88] لمصدر نفسه:143.
[89] لمصدر نفسه: 92.
[90] لمصدر نفسه:441.
[91] لمصدر نفسه:114.

كثيراً مَا يُلاحظُ على الشارح مُحاولةُ إشْرَاك القَارئ، مخاطباً إيَّاه بطَريقة ألفنَاها في شَرح المتون والمنظومَات، تَعتمد علَى السُّؤال والجَواب على النَّحو التَّالي: فإن قلتَ لِمَ اختصتْ هذه الحروفُ بالزيادةِ دونَ غيرها من الحُروف؟ قلتُ: أولَى ما يزادُ أحرفُ المدِّ واللِّينِ؛ لأنَّها أخفُ الحُروف، وأقلها كلفةً[92]

وقد كَان أسلوبُ عبد الكَريم الفَكون في هذَا الشّرح حسنا، سهلا بسيطاً في مُتناول القَارئ في أغلَب الأحيَان، فلمْ يكنْ سهلاً مملاً، ولا مُوجزاً مُخلاً، برزتْ فيه جُملة من المصطلحَات اللّغوية في النَّحو والصّرف والبَلاغَة والعَروض بشَكل لاَفت للانتبَاه يدفعُه لذلك استقصَاءُ الحَقائق في عَدَد غير يَسير من آثَار القُدمَاء، بدءً بالخَليل وسيبَويه إلى شُيوخه الذينَ أخذَ عنهم علمَه.

6 - النَصُّ علَى ضَبْط الأبْنيَّة ولأمْثلَة:

لم يلتَزم الشَّارحَ طَريقةً واحدةً في تَقديمه للأمثلَة وأوزَانهَا، فمرة يذكرُ الأمثلةَ والأوزانَ مَضبوطةً بالشكْل وينُصُّ على ذلك، وأخرَى يأَتي بهَا دُون ضَبط، فمن الأوَّل حَديثُه عن أوزَان الاسم الثُّلاثي المجرَّد، قال:(فُعُل): بضمّ الفاء والعين، ويكون: اسماً كما مثَّل به من لفظ (عُنُق) ونحوه: (طُنُب) بالطّاء المهمَلة والنُّون والبَاء الموحَّدة، و(جُمُد) بالجيم والميم والدَّال المهملة..[93].

ومنه ما جَاء في بَاب مَسَائل التَّمَارين: (إذَاقيلَ لك: ابْنِ لي مثالَ مَلَكُوت من بَنَى، فإنّك تقولُ: بَنوتٌ بفَتحِ البَاء والنُّون ووَاو بعدَه ثمّ تَاء ...)[94].

ومن الثاني: قولُه في مَبحث مَسائل التَّمارين أيضاً: (وإنْ بنَيتَ من ضَرَّبَ، و قَتَّلَ مضعّفين مثلَ جَعْفَر، قُلتَ: ضَرْبَبٌ، و قَتْلَلٌ ...)[95] دونَ ضبْط للأمثلة .

والملاحظُ أنَّ الشارحَ في بَاب أبْنيَّة الأسمَاء لمْ يُراع التَّرتيبَ بينَ الوَزن والبَناء، فمرَّة يذكرُ الوزنَ مَضبوطاً بالشَّكل أولاً ثمَّ يمثِّل له، وأخْرَينُصُّ على المثَال قبلَ الوَزن . فمن الأول حَديثه عن الخُمَاسي المجرَّد، قال: (الأول: فَعَلَّل بفَتْح الأَوَّل والثَّاني والرَّابع ويكون اسمًا كما ذكرَ من لفْظِ: (سَفَرْجَل) ...الثَّاني: فِعْلَلٌ بكَسْر الأَوَّل، وسُكُونُ الثَّاني وفَتْح الثَّالث ويكونُ اسمًا كمَا مثل به من (قِرْطَعْب...)[96] .

ومنه أيضاً قولُه في زيادَة الألف: (.. إنَّ الألفَ وردتْ زائدةً، وهي سادسةٌ في أوزَان منها وَزنُ فِعِّيلَي بكَسْر الفَاءِ و تَشْديد العَين مَقصوراً ...)[97].

---

[92] المصدر نفسه:172.
[93] المصدر نفسه:128.
[94] المصدر نفسه:439.
[95] المصدر نفسه:444
[96] المصدر نفسه:135-136.
[97] المصدر نفسه:189.

ومن الثَّاني حديثُه عن مَسَائل علْم التَّصريف، وتقْديمه أمثلَة عليها، قالَ: (هذَا تَمثيلٌ من النَّاظم ببَعض مَسَائل هذا الفنّ، فذكرَ أنَّ: تَغييرَك للأصلِ الذي هو المِصدرُ، وهو:(فَضْل) إلى(أَفْضَل)، وهو أفْعل تَفضيل لإرَادَتك به الزّيادة في الفَضل، وكذلك تَصْييرك (عَدْلاً) الذي هو مصدر أيضاً (عَادِلاً) اسم فَاعل لإرَادَة مَعنَاه، وإلى (عَدَلَ) فعْل مَاض؛ لإرَادَة الحَدث المِاضي[98].

وأحياناً يَذكرُ الكلمَةَ ووزنَها دُونَ ضَبطها بالشّكل، أوضَبط جُزءمنْها وإهمَال الجزء الآخر، نحو:

- (سِرْبَال، و وزنُه: فِعْلاَل)[99] .

- ومنه حديثُه عن زيادة الألف أيضاً: (وقَدْ جاءتْ زيادتُه ثانياً، نحو: (طَابَق)، و (خَاتَم) بفَتح البَاء والتَّاء، و وزنُه: (فَاعَل) بفَتح العَين)[100].

ولعلَّ العذرَ الذي نَلتمسُه للشَّارح في عدَم التزَامه منَهجا مُعيَّنا في التَّمثيل يكمنُ في كَثرة أبيَات الأرجُوزة من نَاحية، وكمِّ الأوزَان والأمثلَة التي احتوَى عليهَا الشرحُ منْ ناحية أُخرى .

غير أنّه أحيانا يشعر برغبة الطالب في قراءة الألفاظ وأبنيتها مضبوطة بالشكل، فينص على ذلك، مثل ما ذكر حينما كان يتحدث عن زيادة التاء بقوله:

رابعُ الأمثلة التي ذكرَها (تُرْتَب)، و ينْبغي أنْ يُضبطَ بضمِّ التَّاء وسكون الرَّاء و فتح التأَّء الثانية، ووزنُه: (تُفْعَل) بضم التَّاء و فتْح العين[101].

6 – إحالة القارئ إلى المصنفات :

وهي سمةٌ بارزةٌ في الشَّرح، ركزَ عليها عبدُ الكَريم في كَثير من الأحيان، في نهَاية كلِّ مَبحث تقريباً، وهي نَوعَان:

أ–إحَالاتٌ لمؤلَّفَاته:

لهذا الكتَاب قيمَتُه العلميَّةُ، فهو مَصدرٌ لمؤلفَات الشَّارح الموجُودة والمفقُودَة على السَّواء، فهو يحيلُ القارئَ في كلِّ مرَّة لأحد مُؤَلّفاته من أجل استقصَاء الحقَائق والاستفَادة في الموضُوع أكثر .

ففي حَديثه عن اشتقاق(الاسْم)، يحيل إلى كتَابه(شَرحَ لاميَّة الأفعَال)، بقوله:(واشتقاقُه من السّمُوِّ وهو الارتفَاعُ والعلَوُّ كما هو مَذهب البَصريين، لاَ منَ العَلاَمةِ، فيكونُ أصلُه: وَسْماً، كما هو مذهبث الكُوفيين، وحُجةُ الفَريقين ذكرُها يُوجبُ التَّطويلَ، وقد ذكرنَا ذلك في شَرحِنا على لاَمية ابنِ مَالك، فلينظرْ هُناكَ)[102].

---

[98] المصدر نفسه:117–118.
[99] المصدر نفسه:176.
[100] المصدر نفسه:186–187.
[101] المصدر نفسه:221.
[102] المصدر نفسه:88.

ومنه إحالتُه للكتاب نفسه في أثنَاء حديثه عن (فَعُلَ) المضموم العين بقوله: (ومنْ أرادَه معَ ما فيه من البَحث، فلينْظرْه في شَرحنَا: فَتحَ المالك)[103].

ومنه أيضاً إحالتُه لكتَابه (مَنْشُورالهدَايَة)، قالَ: (وقد ذكرْنَا في تأْليفِنَا مَنْشُورُ الْهِدَايةِ فِي كَشْفِ حَالِ مَن ادَّعَى الْعِلْمَ وَالْوِلاَيةِ منْ حَال الصِّنفين، ودعْوى الفَريقين مَا يكتحلُ بإثْمده أهلُ الكَمال ويُروَى من عذْب فُراتِه أهلُ الفَضل والإفْضال)[104].

وقولُه حينَ شَرحه لمعنَى (البَسْملة): (وأمَّا جوابُ المجيب أولاً وتنظيرُه بالشَّاة فغيرُ صَحيح، وقد ذكرنَاه في تأليفِنا في شَرح طَالِعَة المِكُّودِي على الألفيَّة، فيمَا قيدنَاه عليه فليُنْظرْ هُناك، وقصدُنا الاختصَار) .

وفي حَديثه عن الفَرق بين (النَّبي)، و(والرَّسُول) في مُقدمة الكتَاب، إحالةٌ لمؤلِّفه: (شَرح المِكُّودي)، قالَ: (والخُلفُ في ذلك شَهير، فلا نُطيلُ فيه، وقد ذَكرنَا بَعضَه في شَرحنَا للمَكُّودي)[105]

ولم أجْد منْ أشارَ لهذَا الشَّرحَ في المِصادر والمراجع التي بَحثتُ فيها، وبالتَّالي صعُبَ علي تَحديدُه، هلْ هو شرحٌ على أحَد شُروح المكُّودي، كشَرحه لألفيَّة ابن مَالك السَّابق الذِّكر، أو شَرح لمقدمة آجرُوم، أوْ للمَقصُور والممْدُود، أو غيرها .

ومن إحالاته أيضاً حين كان يتحدثُ عن معنَى (صلَّى الله عَليه وسلَّم تسليماً)، قالَ: (وقد بيَّنا ذلك في تَقييدِنَا في الأسئلَةِ الوَاردةِ، وأوضَحنَاه إيضاحاً تاماً والله المستعَانُ)[106] .ويُعدُّ هذا التَّقييدُ ضمنَ آثار عَبد الكَريم الفَكُون المفقودة .

2-إحَالاتٌ لمَصَادر غَيره:

وهي كثيرةٌ متنوِّعة المعَارف، لغَوية، وأدبيَّة، وفقهيّة، اعتمدَ عَليها عبدُ الكَريم لإثرَاء مبَاحث كتَابه من نَاحية، ودفْع الطَّالب للتعمُّق في البَحث، والأخْذ منْ مَناهل العلمَاء على اختلاَف مشَاربهم من ناحيَّة أخرى، وسأقتصر على ذكْر أمْثلَة من ذلك في مَا يلي:

منهَا إحالاته لكتاب سيبويه: وهي كثيرة، كحَديثه عن لحاق التضعيف في بنات الثلاث، قال: (قد قدَّمنا أنَّ الواقعَ في كتاب سيبويه أصالتُهَا، فقد قالَ سيبويه: هذا باب لِحَاق التَّضْعِيفِ فِيهِ لاَزِمٌ، كما ذَكَرْتُ لَكَ فِي بَنَات الثَّلاَثَة، فيكون على مثال: (فِعَّل) في الصفةِ، نحو: (الْعِلَّكْد) وهو الغليظُ الشديدُ العنقِ، و"الهِلَّقْسُ " وهو الغليظُ الشَّديدُ و" شَنَّعْم " وقعَ في كتَابه -رحمَه الله- بالعَين والغِين كما ذكرنَا لَك .

---

[103] فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف: 429، وينظر: شرح لامية الأفعال للشارح، ورقة: 20ب .
[104] فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف:.109
[105] المصدر نفسه:99
[106] المصدر نفسه:90

وقد يحيل إلى رأي سيويه دون ذكر لفظة (كتاب)، كقوله: (وقدْ ذَكرَ سيبويه في اليَائيّ أنَّ بعضَ العَرب يُخرجُه على الأصل فيقولُ مَخْيُوط، ومَبْيُوع)[107]

وذكر كتاب **المقرب** في حَديثه عن التَّغيير الوَاقع في بنْيَة الكَلمة لغَرض لَفظي أو مَعنَوي،قالَ: (ذكرَ ابنُ عصفُور في مقرَّبه وغَيره أنَّ التَّغيير نَوعَان ..)[108] .

ومن ذلك إحالته القارئَ على كتاب: (**شرح التسهيل للدَّماميني**) في أثنَاء حَديثه عن لفظة (الآل)، قال: (والمشهورُ عندناَ وعندَ الشَّافعي، أنَّهم بنُو هَاشم وبنُو عبدِ المطَّلب، وقيل: عِتْرَتُه وأهلُ بيتِه، وقيلَ: جميع أمَّته، وهو قول يُنْقَلُ عن الإمام مالك رضي الله عنه، قالَه الدَّماميني في شَرح التَّسهيل[109] .

ومنه أيضاً إحالته لكتاب **شرح الكافية الشافية لابن مالك** في حديثه عن المبني لما يُسمَّ فاعلُه: (وهو بناءٌ أصليٌّ وهو مذهبُ ابن الطَّراوة والكُوفيين ونقلَه ابن مَالك في شَرح الكَافية عن سيبويه و المازني)[110] .

كما أحال القارئَ إلى كتاب **شرح التسهيل للمرادي** في حديثه عن الوَاو إذَا وقعتْ قبلَ الألف والنُّون الزَّائدتين في مثال فَعلان، قال: (مثَّله المرادي في شرح الأَلفية والتَّسهيل وغيره بشَجِيَان، قالَ في شرح الألفية: شَجَيان مثل ظَرِبَان من الشَّجْوِ، وأصلُه: شَجِوَان، فقُلبتِ الواوُ ياءً ؛ لأنَّ الألفَ والنونَ في حُكم الانفصَال أيضاً مثل تَاء التَّأنيث)[111] .

ونظراً لكثرة إحالاته، فإنَّني خصَّصْتُ المبحثَ التَّالي للحَديث عن مصادره المختلفة التى استقى منها حججَه وأدلته في أثناء عرضه للمباحث الصرفية المتنوعة.

– مصادرُه:

تُشيرُ المصادرُ التي اعتمَدها عبدُ الكريم الفَكون إلى ثَراء وتَنوّع في زَاده المعرفي في العلوم اللغوية، والأدبية، وكذا العلوم الشرعية، فهي كثيرة ومتنوعة، و يمكن تصنيفها إلى نوعين:

1 – **مصدرُ القُرآن الكَريم والحديثُ النّبوي الشَّريف**: وسَأتحدثُ عن هذه النّقطة في مَبحثٍ لاحقٍ

2– **مصادرٌ تُمثّلُ كتبَ الأقدَمين** من العُلماء في شتَّى أنوَاع العُلوم من نحو:كتَاب سيبَويه، ومَعاني القُرآن للأخفَش، ومعَاني القُرآن للفرَّاء، وكُتبِ الغَريب والمعَاجم، وغيرها، وأخرى تمثِّل بعضَ مؤلفَاته ومؤلّفات منْ عَاصروه، وجَاء ذكرُ هَذه المصادر على النَّحو التَّالي:

---

[107] المصدر نفسه:358–359.
[108] المصدر نفسه: 115.
[109] المصدر نفسه: 99–100.
[110] المصدر نفسه: 141.
[111] المصدر نفسه: 305.

– **يُوردُ اسمَ المَصدر مع ذكْر صَاحبه،** كقَوله: (وكَذا وقعَ في كتَاب سيبَويه)[112]، ومثله: (قَالَ ابن جنّي في الخَصائص: رَأيتُ أبَا عَلي غير مُسْتَوْحِشٍ مِنَ لابْتدَاءِ بالسَّاكن في لُغةِ العَجمِ)[113]، وكذلك قولُه: (ذكَر ابنُ عُصفور في مُقرّبه)[114] .

– **يوردُ اسمَ صاحب المَصدر دونَ ذكر اسم المَصدر،** ممَّا يُصعب اهتداءَ القَارئ إلى موطن النَّص المنقول، كقَوله: (وزادَ الأخفَش بلَز)[115]، ومثلُه: (وقالَ ابنُ جنّي إنَّه من أسمَاء الضبّ.)[116]، و قوله: (وحكَى ابن دريد فيه: جُلُعْلُع بضمِّ اللاَّمين)[117]، أو كقَوله: (حَكاها الفَرَّاء عن بعض العَرب ..)[118]

– **يوردُ المصدرَ دونَ ذكْر اسم صَاحبه،** ممّا يسبِّبُ اشكالاً–أحيانا–للقارئ في تحديد أصحَاب بعض المصَادر، يقُول مثلا: (ونحَا في المِشَارق مَنحى آخر في الأعْرَابي وأنه البدَوي وإن لمْ يكن منَ العَرب)[119]، وقوله: (نقلَ عن بعضُهم الإجماعَ على أن هَلُمَّ مُركبةٌ، ونَقلُ الإجمَاع في البَسيط بنَقلِه عن بَعضِهم أنَّها ليستْ مركبةً، وعلى القَول بالتَّركيب اختلفُوا في كيفيَّتِه)[120].

– **يوردُ أقوالاً ووجهَات نَظر مُختلفَة،** دونَ الإشَارة إلى المصَادر الّتي استَقى منها ذلك، ولا إلى أصحَابها، وهو مَا يجعلُ البَاحثَ في حَيرة أمَام حَقيقة هذه الآراء، فهلْ هي للشَّارح، أم لغَيره ؟

ويندرجُ ضمنَ هذا ما يَذكُره من قَوله: (وذَهَبَ بَعضُ النَّحويِّين)[121]، (وذَهَبَ بَعْضُهم)[122]، و(نقلَ بعضُهم..)[123]، و(قالوا...)[124]، و(قِيلَ ..)[125].

ومنه تلك النقول التي يوردها في أثناء الشرح دون الإلماح لإصحابها أيضاً، وفق مايصادفنا من نقول من لسان العرب، ففي تفسيره لمعنَى (الحجَا)، قالَ: (...لأنَّ العقلَ يمنعُ الإنسانَ من الفسَادِ فيحفظُه من التعرّضِ للمهالكِ فشُبِّه الستْرُ الذي يكونُ على السَّطح المانعُ للإنسان من التردِّى...)[126].

---

(112) المصدر نفسه:185.
(113) المصدر نفسه:238.
(114) المصدر نفسه:115.
(115) المصدر نفسه:129.
(116) المصدر نفسه:165.
(117) المصدر نفسه:130.
(118) المصدر نفسه:245
(119) المصدر نفسه:194.
(120) المصدر نفسه:476.
(121) المصدر نفسه:267.
(122) المصدر نفسه:137–147
(123) المصدر نفسه:474–475.
(124) المصدر نفسه:261–295.
(125) المصدر نفسه:295–301.
(126) المصدر نفسه:39.

ويبقى أن نُشيرَ إلى أنَّ أهمَّ المِصادر التي اعتَمَد عَليها عبدُ الكَريم الفَكون في هذَا الشَّرح بصُورة لافتَة للإنتبَاه هوكتَاب: تَوضيح المقاصد والمِسَالك بشَرح ألْفيةِ ابن مَالك للمُرادي، وهو الكتاب الذي قرأه على شَيخِه التَّواتي، ودرَّسه لطلبته الوافدين على قسنطينَة، وممَّا يلاحظُ على عبد الكريم أنَّه لم يذكرْ اسمَ المِصدرَ إلاَّ قليلاً، والأمثلةُ كثيرةٌ يمكن العودة إليها في النصّ المحقَّق . كمَا لازمَه كتابُ سيبويه في جلِّ المبَاحث التي عالجَها في شرحه، يستَقي منه حجَجَه واستدلاَلاته في كلِّ قَضيَّة تَقريباً .

شواهده:

1 – القرآن الكريم:

يعدُّ القُرآن الكُريم أعْلَى دَرجَات الفَصاحَة، فهو خيرُ حُجةٍ لمن أرادَ حُجَّةً لإثبَات رَأي أو نفيه، أو الاسْتشهَاد لدعم حُكم أو رفضه، ولمْ يُعرفْ أن اختَلفَ اثنَان في ذَلك .

وقد استشهدَ عبدُ الكَريم الفَكون بالقُرآن الكَريم، فبلغَت عدد الآيَات أربعةً وسَبعين آيةً ذكر وجْه القَراءة في عَددَ منها، ونسبَ بعضَها لقرّائها، وتركَ البعضَ الآخر دونَ نسبَةٍ .

وقد نالتْ مقدمةُ الكتَاب الحظّ الأوفرمن هذا العَدد، إذْ بلَغت الآياتُ التى استَشْهدَ بها في هذا الجزء تسْع آيَات، ووزّعَ الباقي على مَباحث الكتَاب .

ففي البيت (26)[127] حين شرح معنى (الاستهداء)، أشار إلى أن الفعلَ (هَدَى) ورد في القرآن الكَريم باعتبار التَّعدي على ثَلاثة أوجُه: معدَّى بنَفسه نحو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المسْتَقيم﴾[128]، وباللاَّم نحو: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الذي هَدَانَا لِهذَا﴾[129] وبـ(إلَى) نحو: ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾[130].

ودعّم لغة أهل الحجاز في فك صيغة الأمر المضاعف بآيات من القرآن الكريم؛ لأنها اللغة التي جاء بها القرآن غالباً، فذكر[131] قولَه تَعالى: ﴿واغْضُضْ من صَوْتِكَ﴾[132]، و﴿ومَنْ يحْلِلْ عليْهِ غَضَبِي﴾[133]، و﴿ولاَتَمْنُنْ ﴾[134].

2 – الحديث النبوي الشريف والأثر:

إنّ الاستشهادَ بالحَديث واعتبَاره مصدراً من مَصادر الاحتجَاج، قضيةٌ أثارتْ كثيراً من الجَدل بينَ النّحويين، فتَشعَّبوا إلى مُؤيد ومُعارض، ولكلٍّ حجتُه ودليلُه .

---

(127) لمصدر نفسه:113.
(128) سورة **الفاتحة، الآية: 6** .
(129) سورة **الأعراف، الآية: 13** .
(130) سورة **ص الآية: 22** .
(131) فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف: 474.
(132) سورة: الأحزاب، الآية: 33 .
(133) سورة: طه، الآية: 81 .
(134) سورة: المدثر، الآية: 6 .

واستناداً لعدد الآحاديث النبوية الشَريفة الواردة في كتاب فتح اللطيف، يُمكن القولُ: إنَّ الاستشهادَ بالحديث الشّريف، يعدُّ سمةً بارزةً في شرح عَبد الكريم الفَكون، فهو يستند إلى الحديث يستمدُّ منه الشاهدَ لدعم رَأي، أو لتَعليل مَسألة، أو لتَوضيح غَامض في مُجمل الظّواهر النّحوية أو الصَّرفية أو اللّغوية التي تمرّ معه، وهو بهذَا العملَ قد وَافق الفريقَ المؤيدَ للاستشهَاد بالحَديث، وأكثرَ من الاستدْلال به، و لا يُستغرب ذلك منه ؛ خاصّة إذا علمنَا أنَّه ألّف كتاباً عنوانه: (شَرح شَواهد الشّريف على الأجرومية)، والتزم فيه عقبَ كلّ شَاهد ذكرَ حديث مُناسب للشّاهد .

وقد بلغتْ شواهدُ الحَديث في الكتاب ثلاثين حديثاً)، منها (تسعَةَ عشرَ حَديثا) جَاءت في مُقدمة الكتَاب لبيَان المعاني اللّغوية، أما الباقية فكانتْ للإستشهَاد على القَضايا الصّرفية المتنوِّعة .

أذكرُ منها على سبيل المثال ماستدلَّ المصنفُ به على ضَرورة الإبتدَاء بالبَسملة في كلِّ أمْر بقَوله صلَّى الله عليه وسلّم: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبتدأُ فِيهِ بِبِسْمِ الله فَهُوَ أَبْتَرُ) [135] و قوله: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْتَدَأ فيه بالحَمْد للَّه فَهو أَجْذَم))[136].

كما استدل على شرح معنى لفظتي (ماهر)، و(باهر) بحديثين في قوله: (الْمَاهِرُ هو الحاذِقُ ، وقد مَهَرَ يَمْهَرُ مَهَارةً، وفي الحديث: ((المَاهِرُ بالْقُرآن مَع السَّفَرَةِ))[137]، و البَاهِرُ هو الغالبُ هنا، ومنه حديث: ((صَلاَةُ الضُّحَى إِذَا بَهَرَت الشَّمْسُ الأَرْض))، أي: غلَبَهَا نُورُها وضياؤُها، وابْهَارَّ اللَّيْلُ إذا انتصَفَ، وبُهْرَةُ كلِّ شيء: وَسَطُه[138] .

وكما استدل عبد الكريم الفكون بالاحاديث النبيوية الشَّريفة على بيان المعاني اللّغوية استدلّ بها أيضاً على بعض المسائل الصرفية، نذكرُ منها على سبيل المثال:

استدلاله على زيادة الياء رابعة في كلمة (نفْريَّة) بقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْعِفْرِيَةَ النِّفْرِيَةَ))[139] .

واستشهاده على زيادة الهمزة أولا في كلمة (إثْمد) بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنَّه أمَرَ بالإثْمِد المروِّح، وقالَ: لِيَتَّقِهِ الصَّائمُ))[140] .

كما استشهد بالأثر في كلمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الحديث عن أدلة الزيادة، وهو قوله: ((لا تكُنْ إِمَّعَةً إِنْ آمَنَ النَّاسُ ءَامَنْتَ، وإِنْ كَفَرَ النَّاسُ كَفَرْتَ))[141].

---

[135] فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف: **87.**
[136] المصدر نفسه:91
[137] فتح اللطيف على شرح أرجوزة المكودي في التصريف: **111.**
[138] المصدر نفسه.
[139] المصدر نفسه:**184.**
[140] المصدر نفسه:**197.**
[141] المصدر نفسه:**156.**

واستشهد على حذف همزة (أيمن) بقول الفقيه عروة بن الزبير (لَيْمُنُك لَئِنْ ابتَلَيْتَ لَقَدْ عافَيْتَ)1[142] وفي خاتمة المطاف، لا أقول إني أتيت على كل صغيرة وكبيرة في الكتاب بالدراسة والتحقيق، ولكني بذلت جهدا متواضعا لخدمة تراثنا العربي راجيا من الله تعالى التوفيق ، وفوق كل ذي علم عليم.

[142] المصدر نفسه:**147**.